وإذ أخذوا يتخطّون الحطام والأنقاض فقد وجدوا أنفسهم في الجناح المسكون من المنزل. ولم تكن «كْلُوويه» فيه بعدُ، غير أن أباها لم يكن مهتمّاً كثيراً للأمر وقد سُرّ كثيراً إذ وضع يده على جمهور من المستمعين طازج ساذج يمكنه أن يسرد على مسامعه مرّة جديدة مآثر السَّلَف وأمجاد «الإسكندر». وكان يحكي مُرفقاً حديثه بعدد كبير من الحركات بلهجة البلد الآرامية مزخرفةً كما ينبغي بكلمات يونانية، ولا سيما فيما يتعلق بالتعابير العسكرية. وكان «مالكوس» يُصغي إليه مأخوذاً. بعكس صديقه اليافع الذي لم يكن ليتأثّر كثيراً بالبطولات الحربية فأخذ يُسلّي نفسه بآثار عجيبة على الجدار.

كان من الممكنْ ألاّ تكون هذه سوى لطخات كان سيُقدِّر لمالك أسعد حظّاً أن يُغطّيها بطبقة من الكلس. غير أن عين «ماني» كانت تلمح فيها خطوطاً وألواناً. وإذ اقترب فقد أخذ يحكّ بظفره حكّاً سطحياً ذَروراً مُزْرَقّاً نثره على ظاهر يده، ثم شرع يُعيد رسم الحوافّ المكشوطة بسبّابة مضطربة. وقطع «شارياس»، وكان يُتْبِعه نظره منذ برهة، سرد روايته ليُجيب عن أسئلته غير المعبَّر عنها بالكلام:

- إنّ جِرَفيّاً من (دورا أوروبّوس) هو الذي رسم هذا المشهد. ويُقال إن الألوان كانت مُشْرَقة ومزيَّنة بأوراق ذهبية. ولقد توقّف كثير من الزوّار المشاهير في هذا المنزل الأميري. وهنا بالذات، في هذه القاعة، كانوا يقيمون مآدبهم، أسعد مآدب (ما بين النهرين) وأسخاها بالشراب، في وسعك أن تُصَدِّقني.

مضت عدّة أسابيع قبل أن تُتاح للفتيَيْن الفرصة مرّة جديدة لزيارة «شارياس» في منزله حيث تكرّر المشهد نفسه: كان «مالكوس» يُصغي بشيء من السرور - في القاعة الفسيحة التي كانت تُظِلُّ، حسب أقوال «اليوناني»، المآدب الباذخة - إلى حكاية كوكبة الفرسان المقدونيين، في حين كان «ماني» المتربّع قبالة الجدار على بُعد خطوات منه غارقاً في تأمُّل لوحة جدارية كان الوحيد الذي يلمحها. وكانت «كْلُوويه» تندفع، كلما سمح لها نَصَبُها، من ركن إلى آخر مُصغيةً إلى طَرَف من الملحمة، ثم ساعيةً بلا جدوى إلى أن تُخمّن في عينَيْ «ماني» المُنْدَهِشَتَيْن الرؤيةَ التي لا يُسْبَر غَوْرُها وكانت تبهره.